التنمية المهنية في النشر الحديث

أ.د. شعبان خليفة

النشر لغة هو الإشاعة أو الإذاعة أو البث أي جعل الأمر منتشراً ومعروفاً بين الناس ولا يبعد النشر إصطلاحاً عن هذا المعنى إذ هو بث وإشاعة المعلومات والأفكار بعد تجسيدها في مصادر ملموسة. والنشر من هذا المنطلق ينطوي على ثلاث عمليات أو ثلاث حلقات لا يمكن لأي منها وحدها قائمة بذاتها ومستقلة عن الآخرين أن تسمى نشراً. هذه الحلقات الثلاث شاءت اللغة العربية أن تبدأ كل منها بحرف التاء وهي:

- **التأليف**
- **التصنيع**
- **التسويق**

هذه الحلقات الثلاث تضم أربعة أطراف هم:

المؤلف - الطابع - الموزع - الناشر

والناشر هو الطرف الذي يقع في قلب عملية النشر ويجمع الأطراف الفاعلة في حلقات النشر ويدير العملية من علٍ.

ولعله من نوافل القول بالأرقام والإحصاء أن صناعة النشر هي ثالث صناعة في العالم من حيث كمية المفردات التي تلقي بها في السوق سنوياً بعد صناعتي الغذاء والكساء.

ولابد لنا من التأكيد على أن النشر مهنة مثل سائر المهن: الطب، الصيدلة، الهندسة، الزراعة وهي مثل كل المهن تقوم على شقين: شق فلسفي نظري أكاديمي وشق تطبيقي عملي براجماتي. الشق الفلسفي الأكاديمي يسعى إلى التأطير والتنظير والتقعيد والتأصيل بينما الشق العملي التطبيقي البراجماتي يسعى إلى إحكام الممارسة والتنفيذ والتفعيل.

ولابد مرة ثانية من القول بأن الأمر لو اقتصر على الشق النظري الفلسفي الأكاديمي التأصيلي سنكون أمام علم بحث مجرد مقطوع الصلة بالواقع، ولو أن الأمر اقتصر على الشق التطبيقي العملي البراجماتي سنكون امام حرفة قد نتقنها بعد طول ممارسة ولكن لن نجودها ونطورها لانها تفتقر إلى الأساس التأصيلي الفلسفي. إذن لكي نكون امام مهنة فلابد من توافر ركني التأصيل والتطبيق.

كان النشر فيما قبل القرن العشرين حرفة يتم تعلمها من خلال التلمذة الصناعية وحيث لم تكن المفاهيم قد جردت تماماً على نحو ما هو موجود الآن ويمكننا القول مطمئنين أن تعليم النشر قد بدأ مع العقد الأول و الثاني من القرن العشرين وكانت فرنسا والاتحاد السوفيتي سباقين إلى هذا الفصل وما يزال هناك تعليم للنشر في دول الاتحاد المنحل على أربعة مستويات:

١. التعليم الثانوي حيث توجد مدارس ثانوية لتعليم النشر وصناعة الطباعة.

٢. المعاهد العالية: هناك معاهد لتعليم التشر لمدة سنتين بعد الثانوية وهي معاهد متوسطة فوق الثانوية ودون الجامعية.

٣. الكليات والمعاهد الجامعية: هناك كليات ومعاهد على المستوى الجامعي –أربع سنوات- تعلم علوم النشر (صناعة الكتاب) في موسكو ولينجراد وغيرهما من المدن الروسية (والتعليم هنا صباحي – مسائي -بالمراسلة).

٤. الدراسات العليا لمدة ثلاث سنوات بعد التخرج وتمنح شهادة الكانديدات (أعلى من الماجستير وأقل من الدكتوراه)، وهناك أيضاً دكتوراه الدولة في النشر.

وفي الولايات المتحدة يعتمد تعليم النشر في الأعم الأغلب على دورات تدريبية وورش عمل وبرامج تعليمية صيفية لمدة ستة أسابيع وتذكر المصادر أن الاهتمام بالتدريب على العمل النشري بدأ مع سنة ١٩٤٧ ومايزال مستمراً. ولكن على الجانب الآخر هناك معاهد وكليات جامعية –وإن قلّت- تعلم النشر على المستوى الجامعي ربما بدأت بمعهد الدراسات العليا في النشر الذي أسس في جامعة نيويورك ١٩٦٨. ومن نوافل القول أن مدارس علم المكتبات والمعلومات بالولايات المتحدة تدرس مقرراً أو اثنين في النشر.

وفي ألمانيا يتم تعليم النشر بطريقتين: **الأولى** داخل دور النشر الكبرى المحددة هناك، وطبقاً للبرنامج الرسمي للتعليم في تلك الدور يقضي الطالب ما بين سنتين إلى ثلاث سنوات في محاضرات نظرية وتطبيقات عملية وممارسة فعلية على النشر. **والثانية** تعليم النشر في معاهد عملية متخصصة في النشر مثل "مدرسة النشر وتجارة الكتب الألمانية" التابعة لاتحاد الناشرين وباعة الكتب ومثل المعهد الألماني لتعليم تجارة الكتب في ليبزج. هذا النوع من التعليم يتم على المستوى الجامعي. وهناك تعليم على مستوى الدراسات العليا مثل أكاديمية النشر وتجارة الكتب في ليبزج وغيرها.

وفي بريطانيا رغم وجود مدارس كثيرة لتعليم فنون الطباعة إلا أن تعليم النشر لا يتم في الأعم الأغلب إلا عن طريق الدورات التدريبية وورش العمل.

وفي اليابان يتم تعليم النشر عن طريق دورات وورش عمل منظمة ومكثفة يعقدها اتحاد الناشرين سواء لناشري كتب الكبار او كتب الأطفال. وربما كانت المدرسة الوحيدة لتعليم النشر على المستوى الأكاديمي هي (مدرسة ناشري الكتب). وقد بدأت هذه المدرسة عملها سنة ١٩٦٤؛ وبرامجها تقوم أساساً على دورات قصيرة وطويلة تبدأ من برنامج اليوم الواحد وحتى برنامج العام الكامل. هذا إلى جانب الأقسام العلمية التي تطرح مقرراً أو مقررين في تخصص النشر. ويغلب على تعليم النشر في اليابان نظام التلمذة الصناعية حيث القديم يعلم الحديث في دار النشر وتجارة الكتب.

وفي فرنسا يتم تعليم النشر على مستويين:

أ. لباعة الكتب في برنامج دراسي لمدة عامين ينتهي بشهادة دبلوم لتسويق الكتب.

ب. لناشري الكتب في برنامج منذ عام ١٩٠٨ لمدة عامين بعد الثانوية وينتهي هو الآخر بدبلوم للنشر.

وقد عرفت اسبانيا تعليم النشر مع العام ١٩٣٠/١٩٢٩ فيما اشتهر بمدارس تجارة الكتب. هذه المدارس موجودة أساساً في مدريد وبرشلونة وفالنسيا. ومدة الدراسة هنا عامان يدرس الطالب فيهما علوماً

نظرية وأخرى عملية إلى جانب رحلة علمية إلى الخارج. وإلى جانب هذه المدارس النظامية هناك العديد من البرامج التدريبية.

وفي الهند هناك تعليم رسمي نظامي للنشر على نحو ماتقوم به (كلية التعليم المهني) في جامعة نيودلهي حيث تقدم برنامجاً تعليمياً للنشر على مدى ثلاث سنوات دراسية يتضمن ١٢ مقرراً دراسياً. وإلى جانب هذا هناك برامج تدريبية منتظمة وغير منتظمة بدأتها اليونسكو ١٩٦١-١٩٦٢ في مدراس ودلهي.

وفي هولندا بدأ تعليم النشر مع سنة ١٩٢٧ ببرنامج مراسلة لمدة عامين ينتهي بشهادة وهي شهادة ضرورية لمزاولة مهنة النشر وتجارة الكتب. ومع سنة ١٩٦٩ بدأ إنشاء مدارس نظامية في النشر وتجارة الكتب لمدة ثلاث سنوات على المستوى الجامعي. وإلى جانب ذلك هناك دورات تدريبية وورش عمل منتظمة وغير منتظمة.

وفي العالم العربي دخل النشر كمقرر أو مقررين في أقسام المكتبات والمعلومات وأقسام الإعلام (وكلية الإعلام) بالجامعات العربية وذلك مع العام الجامعي ١٩٦٤/١٩٦٣. وهناك اليوم عشرات من رسائل الماجستير والدكتوراه في النشر بمختلف جوانبه. ومع العام الجامعي ٢٠١٣/٢٠١٢ هناك برنامج تعليم مفتوح في جامعة القاهرة عن " النشر الحديث" سوف يمنح درجة الليسانس في النشر. والدراسة لمدة ثمانية فصول دراسية.